

الجريح أبو العبد . . فقد ساقه فخر صحته وعمله



وقد أخبرني الأطباء أنه لا أمل في شفاء قدمي فيما بعد». ويضيف أبو العبد «انقطع مصدر رزقنا بعد إصابتي، ولم يتمكن أولادي من العمل بسبب صغر سنهم. وأصبحت أتعتمد على «الكوبونات» التي توزعها علينا الجمعيات الخيرية،

لا يكاد يخلو بيت فلسطيني من صورة من صور المعاناة، فقد ألقى الاحتلال وحصاره الخانق بظلاله القاتمة على كل معلم من معالم الحياة، معاناة الأسر، وفقد الأحبة، والحرمان من مقومات الحياة. بين كل طرقة باب وأخرى تطالعك هذه الصور، وبين كل نافذة وأخرى عنوان مأساة، طرقتنا اليوم أحد أبواب بيت بسيط في مدينة غزة الصامدة لتطالعنا صورة الأب الجريح أبو العبد سلام (٤٨ عاماً)، الذي فقد ساقه إثر إصابته بشظية من صواريخ الاحتلال التي لم تنفك تلقي بحممها على الأمنيين في كل مكان من شوارع القطاع.

أصيب أبو العبد أثناء مروره في أحد شوارع المدينة، بعد أن أنهى عمله في بيع الخضار في السوق، واتجه مسرعاً لمنزله علّه يجد راحة لجسده المتعب من حمل الخضار وترتيبها والنداء عليها طوال النهار. لم يكن يدري وهو يمر في هذا الشارع المؤدي لمنزله أنه لن يعود لعمله مجدداً، فالعيون التي احتلت سماء مدينته الحبيبة ترتبص كوحش مفترس يتربص صيداً قادماً من بعيد فينقض عليه بلا رحمة، انقض صاروخ انطلق من طائرة حربية تحتل سماء غزة، واستهدف سيارة تمر في المكان لأحد المقاومين فاستشهد على الفور، لكنه لم يمت وحده بل مات معه أمل أبو العبد في العيش بحياة كريمة بسيطة كان يحياها قبل هذا الحادث.

يحدثنا الجريح أبو العبد سلام، الذي يسكن حي التفاح بمدينة غزة وهو أب لأربع بنات وثلاثة أولاد أكبرهم معوق عقلياً: «كنت أبيع الخضار في سوق المدينة وأعمل كذلك في مطحنة للحبوب، وكان والحمد لله رزقنا يكفي في تلك الأيام، إلى أن أصبت بساقي عام ٢٠٠٦ جرّاء إطلاق طائرة حربية صاروخاً باتجاه سيارة لم تكن بعيدة عني سوى أمتار قليلة، حيث انقطع أحد الأعصاب في ساقي وأصبحت غير قادر على المشي لمسافات كبيرة، ولا أستطع أن أحمل أشياء ثقيلة، فأدى ذلك إلى توقفي عن عملي لعدم قدرتي الصحية،

كذلك أن يتخذها كمهنة تعينه قليلاً على مواجهة الحياة الصعبة التي نعيشها في قطاع غزة، لكنني فوجئت به ينفق المبالغ التي يحصل عليها على أشياء بسيطة يشتريها من البقالة، ولم تفلح محاولاتي معه في تعليمه شيئاً ينفعه، وقد سبب لي فعله هذا ديوناً مع الصحيفة لأنني لم أسدد لهم المبلغ المطلوب».

أصبحت مثقلاً بالديون، فعائلتي كبيرة ودخلي من بيع الصحف بسيط جداً، والحصار يلاحقنا في شتى مناحي الحياة، فالجميع يعاني من قلة ما باليد بسبب توقف معظم الناس عن العمل. يشتكي سلام من كثرة المسؤولية الملقاة على عاتقه، فيقول «كثيراً ما يحزنني وضع أولادي الصغار، وخاصة أن ولدي البكر شبه معوق عقلياً. أحس دائماً بحاجتي إلى ولد يخفف عني مسؤولياتي، سواء بمساعدتي مادياً أم بحمل الأشياء الثقيلة عني كأكياس الدقيق مثلاً، حيث أستعين بجاري ليحمل عني تلك الأشياء. ولا شك أن المعوق لا يقدر على ذلك، لكنه قضاء الله وقدره لي، وأنا راض بما قدره لي والحمد لله على كل شيء. لكنني أتمنى من الجمعيات الخيرية في الدول العربية وأهل الخير في كل مكان في العالم أن يمدوا يد العون لنا، ويعيدوا المساعدات التي كانت تكفل حياة مستورة لعائلات فقدت الآن كل شيء بسبب الحصار».

لكنها سرعان ما توقفت بسبب الحصار الذي يفرضه العالم كله علينا».

لم يستسلم أبو العبد للمرض واليأس، فهو يعلم تماماً أن هناك أفواهاً تنتظره كل مساء لتسأله عما أحضره لها من حاجيات، كما كانت عاداته قبل الإصابة.

طرق كل الأبواب للعمل، لكن أبواب المصانع مقفلة أمام الأصحاء، فكيف برجل فقد ساقه ويمشى ببطء شديد ولا يقوى على حمل أي شيء ثقيل!!

إلا أن إصرار أبو العبد على العمل وإعالة أسرته ولو بدخل بسيط جداً لم يتوقف، فأخذ يبحث هنا وهناك عن عمل وبشتى الوسائل، حتى اقترح عليه أحد العاملين في الجمعيات الخيرية، والتي توقفت عن مد يد العون له ولأمثاله بسبب الحصار، بيع صحيفة «الرسالة» التي تصدر نصف أسبوعياً في مدينة غزة، مقابل مبلغ بسيط، فوافق علّه يجد ما يعفي عائلته من ذل السؤال.

يقول أبو العبد سلام «بدأت أبيع الجريدة على أبواب المساجد والمؤسسات، وفي كل مكان أستطيع أن أصل إليه، مقابل مبلغ يعينني على إعالة أسرتي. وتخفيفاً عن نفسي أعطيت ولدي البكر وشبه المعوق عقلياً عبد العزيز جزءاً من هذه الجرائد، كي يبيعها ويساعدني في عملي، وأرغب